العلوم

حديث قملة عجوز

للدكتور احمد زكى

الاستاذ بكلية العلوم

لا يلذكم معشر البشر أن نتحدث اليكم نحن معشر القمل ، لاننا فى أعينكم شارة الاقذار وظل الأوساخ ، وتلك قذيفة لا تقوم على حجة ولا يدعمها برهان ، فنحن لا نتغذى الا من دمائكم ، ولا نرتوى الا من ثغوركم ننقبها فى جلودكم ، وسواء لدينا الجسم القذر والجسم النظيف ، وربما كان الجسم النظيف أحب الينا ، لأن مثاقب القوت تكون عندئذ أقرب إلينا ولكن صاحب الجسم النظيف لا يعطينا المهلة للحياة فهو يغير ملابسه المرة تعقبها المرة ، فيحول بذلك بيننا وبين موارد أرزاقنا فنموت جوعا فى يومين وقد نحيى إلى سبع ، لأننا فى طيات هذه الملابس نتخذ منازلنا ولا نخرج عنها إلى الجسم إلا طلباً للقوت ، فاذا أصبناه عكفنا راجعين اليها .

وقلتم أن القمل سبب لأمراض قاتلة كالتيفوس ، والحق أننا لا نخلق المرض ولا نبتدع الشر فأصول هذه الأوبئة فيكم وعنكم نأخذها فى الدم الذى نستقيه منكم ، وبالرغم من حبنا لمساقط رؤوسنا وأفئدتنا للجسم الذى نشأنا عليه وترعرعنا ، تضل منا أحياناً أفراد فتنتقل غير واعية من رجل مريض إلى رجل سليم لا سيما فى الزحمة حيث تلاقى المناكب وتتلاصق الثياب ، فاذا هى وردت منهله العذب لوثته بما حملت من المنهل الأكدر ، فترون من هذا أننا لا نخلق السوء وإنما نسوى بينكم فى الاسواء

وأسميتمونا المتطفلة لاننا لا نستطيع هضم كل طعام كما تستطيعون ، وليس لنا جهاز هاضم راق كالذى به تهضمون ، فأنتم تهضمون لنا الغذاء ، فنمتصه منكم مهضوما فى الدماء ، وليت شعرى أى سبة فى هذا أوعار أفلستم تتطفلون على الشاة والبقر وصنوف الطير والنبات الحى فتزدردونها كلها ازدراد ، أفترون الشعرة فى أعين الناس ولا ترون الخشبة فى عيونكم ، على أنه مقدار حقير ذلك الذى نمتصه فى الوجبة الواحدة ولسنا نطعم غير وجبتين فى اليوم ، ولنا فى الطعام ذوق الأعزة الكرام ، فنحن نعاف دم المريض ونتقزز من أجسام الموتى فنفارقها مع الحياة .

واحتقرتمونا لصغر أجسامنا وكبر أجسامكم فان فاتنا الجرم الكبير فقد أصبنا العدد الكثير ، فالأنثى منا لا تبلغ اليوم الثامن بعد افراخها حتى تلد ثم تلد ثم تلد ، وهى لا تلد واحدا أو اثنين فى العام كما تلدون وإنما تبيض فى المرعى الخصيب عشرا كل يوم ، فان عاشت الأنثى أربعة أسابيع فقد تبيض مائتين من الصئبان (١) ، وان امتدها العمر الى أرذله فعاشت ستة أسابيع فقد تبيض ثلاثمائة بيضة ، والبيضة من بيضاتها تلبث السبعة الايام أو الثمانية ثم تفرخ ، فانظر الى العدد الكبير من الخلف الصالح الذى تخلفه الانثى منا قبل مفارقتها هذه الحياة الفانية . أنا بالطبع انثى شيخة أكاد استكمل الثلاثين ربيعا ، وما رباثعنا الا أياما ، نسلت من الابناء والاحفاد ما نسلت ، ولكنى انسل ولا أتعهد نسلى ، وكل ما أفعله ان أتخير لهم الموضع الامين ، فأنا أبيضهم على كل شعار خشن ألقاه ، وأبيضهم على فتائل الملابس ولاسيما حيث يخاط اللفاق باللفاق ، ليكون لهم معتمدا عليها وفى دروءها ستر من عصف الزمان وأبيضهم على الاشعرة دون الادثرة حتى اذا أفرخوا كانوا من طعامهم قاب خطوات من خطواتنا ، ومن الدفء اللازم لافراخهم على بعد قامة من قاماتنا ، فنحن مثلكم حاجتنا للدفء لا تقل عن حاجتنا للطعام ، وأوفق الحرارة التى نبيض فيها هى مادون حرارتكم بدرجتين ، والدرجات التى تعلو على الستين تهلك بيضنا ، والدرجات الواطئة تعطل افراخه ، فاذا هبطت الى مادون الـ ٢٢ درجة امتنع افراخه بتاتا .

وسواء ارتفعت الحرارة أو انخفضت فبيضنا لا صبر له على البعد عن أجسامكم طويلا ، فان رمى به الحظ العاثر الى ملابس

(١) هى المسماة بالعامية «سبان» وهو بيض القمل

خلعتموها فانه يصابر شهرا وبعض شهر رجاء أن تعودوا فتلبسوها ويعود هو الى أفراخه ، فان لم تفعلوا فالويل لذرارينا فانهم يهلكون يا كبدى ولم ينعموا بخطوة واحدة على جلدكم الوطىء ولم يستمتعوا بقطرة من شرابكم المرىء

وللفرد منكم معشر البشر عمر طويل موفور، وللفرد منا معشر القمل عمر قصير منقوص ، الا أن حظنا من الزمن مجموعين مثل حظكم ونصيبنا من قديمه وحديثه مثل نصيبكم ، نطاولكم فى القدم ونكاثركم فيما طويناه جميعا من مراحل الازل ، فان كانت نطفتكم قديمة فلعل بيضنا أقدم، وسنسايركم ان شاء الله على حذاء فى مجاهل الابد ، فما دام فيكم الجهل والفقر بقدر كائنا ما كان فرفقتنا لن تنفصم عراها باذن الله ، فالجهل والفقر لابد دائما فيكم دوام الانانية والفردية بعون ربنا وربكم تقدست أسماؤه

نعم ربنا وربكم ، فان لنا مكانا فى الخليقة مثل مكانكم ، فما الخليقة إلا قبائل وبطون وافخاذ جمعها أصل واحد ، وفرقت بينها اجواء مختلفة وبيئات متباينة وحظوظ من العيش متفاوتة ، فنحن وكثير من احياء البحار كالاربيان Lobster وأبى جلنبو والجنبرى قبيل واحد ، ولكنهم اختاروا الماء واخترنا الأرض فكان منا النحل والصرصور والجراد والبق وعدد عديد من الاجناس يبلغ المليونين لم يتعرف علماؤكم منه غير مائتين وخمسين ألف . فقبيلنا نحن ابناء الحشر فى قبائل الاحياء اكبر قبيل ، وانقسمنا بعد ذلك بطونا ، وانقسمت البطون أفخاذا حتى بلغ التقسيم الينا نحن عشائر القمل ، ومنا عشائر تعيش على الطير تقرض ريشه ، ومنا عشائر تعيش على الحيوان كالكلب والانسان تمتص دمه ، وتستوطن اجسامكم يا سادة الحيوان ثلاثة أجناس منا ، جنس يستمرىء جذوعكم واطرافكم ، وهو اكبر الأجناس وأنا المتحدثة اليكم منه ، وجنس يحب المسكن الاعلى والمرقب الاسنى فاختار رؤوسكم ، وجنس استأثر بمواضع العفة منكم . نحن الثلاثة الاجناس نعيش فى كنفكم ووفير كرمكم ، نستجدى اجسامكم وهى لاتعرف المنع ، ونستحلب دماءكم وعادتها العطاء ، فتشكل خلقنا وفقا لهذا العيش اللين والنعمة الميسورة ، ففقدنا أجنحتنا لما فقدنا الحاجة الى التنقل ، واشتدت ارجلنا وقصرت لتمسك بشعوركم وتلصق اشد التصاق بجلودكم وبفتائل ثيابكم ومن ذا الذى لا يستمسك بالمرعى الخصيب والرزق القريب ، واستحالت افواهنا فصارت قادرة على الثقب والمص ، ولنا قناة هضمية ودورة دموية وجهاز للتنفس وجهاز عصبى ، كلها بقدر بساطة حاجاتنا ، ولنا عينان كبيرتان فى مقدم رأسنا ، والى جانبيهما قرنان نستهدى بهما ، ويلى الرأس صدر يحمل من الارجل ثلاثة ازواج باطرافها مخالب كالابر إلا انها تعرف كيف تترفق فى السير عليكم ، ويلى الصدر منا بطن كبير هو كل ما بقى منا . وعلى هذا المثال يتقسم الحشر جميعه ، وتتراءى بظاهرنا تقاطيع حلقية كأنما ضم خاتم الى خاتم الى خاتم ، ولا غرابة فى هذا فبين قبيلنا وقبيل الديدان وشائج وأرحام .

وتفننتم يا اهل المروءة والحنان فى طرق ابادتنا . كنتم تبيدوننا بالماء الساخن والصابون ففطنتم الى ان كثيرا منا يفلتون بأرواحهم والى انكم ان أعدمتم بذلك البالغين منا فقد فاتكم ان تعدموا الصئبان ، فخلطتم الصابون بالجاز وبئسما فعلتم ، فالجاز من اسم السموم لنا ، نموت نحن وبيضنا اذا غمسنا دقيقة فيها ولا نستطيع مقاومة بخاره غير ثلاثين دقيقة . وهداكم سوء طالعنا الى مواد اسم وافعل من الجاز نموت على الفور نحن وبيضنا ان تبللنا بها ونعدم بعد ٥ دقائق فى استنشاق أبخرتها ، ولكن يعزينا أنها ليست فى متناول كل أحد منكم لندرتها ، ولغلائها *

على أنه لاملامة عليكم ولا تثريب فى ذلك ، فكلنا يطلب العيش والحياة ، فأنتم تسعون للبقاء ونحن نسعى للبقاء ، والحرب بيننا سجال ، والحرب بين أجناس الخلائق سجال كذلك ، جنس يقاتل جنسا ثانيا فيقتل منه ، وجنس ثان يقاتل جنساً ثالثا فيقتل منه ، وجنس ثالث يقاتل الجنس الأول فيقتل منه ، فهى حروب فى دوائر ، وكل مادار فى دائرة فلا انتهاء له ولا انقضاء ، وسبحان راسم الدوائر ذى الخلود والبقاء

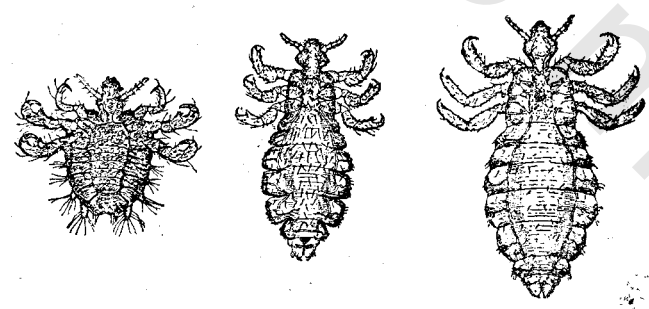

قملة الجسم قملة الراس قملة العانه

* من المستحضرات كثيرة النفع التى استخدمت فى جيوش الحرب الكبرى مستحضر يصنع بتسخين ثلاثة أرطال من الصابون السهل الارغاء بربع لتر من الماء وبعد ازاحته من على النار يخلط بخمسة أرطال ونصف من الجاز ثم يضاف الى الحاصل ٢ ونصف فى المائة من وزنه من الكريسول وعندئذ يستحم به كالصابون . اما المواد شديدة الفعل المشار اليها فركبات كلورية من مشتقات عضوية كالميثان والايثان وتستخدم مراهم .